المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ سار على نهجهم إلى يوم الدين.

تحدث التاريخ كثيراً عن السفارات الأولى في الإسلام التي بعثها الرسول محمد (ص) إلى ملوك الأرض، والحال ذاته في العصور التي تلت عصر الرسول (ص) من: عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي والعصر العباسي، وهذه السفارات وإنْ تعددت أهدافها إلاّ أنها بينت فهماً ناضجاً للعمل الدبلوماسي في التعامل مع الآخرين.

أما في عصر الدولة الأموية في الأندلس فقد أتضح التعامل الدبلوماسي شيئاً فشيئاً إلى أن وصل إلى أوج نضجه في عصر الخلافة من الوفود الدبلوماسية التي قدمت إلى الأندلس لمختلف الأغراض فضلاً عن السفارات التي انطلقت من الأندلس إلى الدول المجاورة ومنها الممالك الأوربية موضوع الدراسة.

مع أنَ هناك من بحث في تاريخ العمل الدبلوماسي بصورة عامة في الأندلس إلا أنَ السفارات تحديداً تكاد تكون أرضاً بكراً لم تلق النصيب

الكافي عند الكتاب في كتاباتهم وإنْ وجدت الكتابة في هذا الجانب تكاد تكون قليلة ومحدودة، واستمراراً للمسيرة العلمية والتوسع المعرفي وتسليط الضوء على جزء من الدبلوماسية في زمن أخذت منه الحروب مأخذاً، وانسجاماً مع حوار الحضارات فضلاً عن إظهار نزعة الإسلام الإنسانية عزمنا - بعد التوكل على الله - على دراسة الموضوع ﴿**سفارات الأندلس إلى ممالك أوربا المسيحية الكاثوليكية ١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٥ - ١٠٣١ م**﴾ مدركين لأهمية تلك السفارات وما أوضحنا من خلالها عن عمل دبلوماسي ناضج في تاريخ الأندلس بعد أن أصبحت تلك السفارات ثوابت حضارية شاخصة.

لقد استعملنا في عنوان الدراسة كلمة(مسيحية) بدل (النصرانية) التي استعملتها المصادر الأندلسية القديمة ونظراً لعدم وجود اختلاف جوهري بين الكلمتين؛ ولأنَ المصادر القديمة تتحدث بلغة عصرها وإنَ الكثير من المراجع الحديثة تستعمل المسيحية متحدثةً بلغة عصرها أيضاً آثرنا استعمال كلمة المسيحية في عنوان الدراسة انطلاقاً من العصر الذي نعيشه أيضاً، أما كلمة (كاثوليكية) فقد أردنا من استعمالها حصر موضوع الدراسة في جهة واحدة من أوربا؛ لأنَ أوربا في ذلك الزمن ليست للكاثوليك فحسب؛ وإنما كان للأرثوذكس نصيب فيها حيث القسطنطينية.

لقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول و خاتمة، وقد تناولنا في الفصل الأول المتكون من مبحثين: **السفارات مفهوماً وهدفاً** و خصصنا المبحث الأول لمفهوم الدبلوماسية والسفارة، وبما أنّ السفارات هي جزء لا يتجزأ من الدبلوماسية فقد إرتأينا دراسة الدبلوماسية وقد تطرقْنا إلى الدبلوماسية الدائمة والدبلوماسية المؤقتة، والسفارة أيضا، كما تطرقنا إلى مفاهيم تعطي معنى السفارة نفسها، ومن الأمور الأخرى التي ذكرت هي أهداف السفارات التي خصصنا لها المبحث الثاني، إذ كان للسفارات أهداف عدة منها الظاهري ومنها ما لا يعلن عنه، وقد فصلّنا تلك الأهداف بعد أن حددناها وأعطينا مثالاً لكل هدف من تلك الأهداف.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان **أصول الدبلوماسية الأندلسية** وقد استعرضنا فيه مراسم استقبال وتوديع السفراء القادمين إلى الأندلس والخارجين منها وكان ذلك في المبحث الأول إذ وصلت قرطبة الأندلس إلى قمة ازدهارها في عصر الخلافة وشمل ذلك الازدهار مجالات الحياة كافة وفي ضمنها الجانب الدبلوماسي، وكان السفراء القادمون إلى قرطبة ينبهرون بما يشاهدونه من جليل القدر والعظمة، كما كان لحصانة السفراء وصفاتهم نصيب في هذا الفصل إذ خصصنا له المبحث الثاني وقد كان السفير القادم إلى الأندلس يتمتع بالحصانة، كما كان للسفراء صفات خاصة يتمتعون بها تُميزهم عن غيرهم وتأهلهم ليكونوا سفراء، وقد اهتم العرب كثيراً بتلك الصفات التي يجب أن يتمتع بها السفير وعملوا

جاهدين على جعل السفير كاملاً بعيداً عن النقص، و قسموا تلك الصفات على ثلاثة أقسام رئيسة هي الصفات الجسمانية والخلقية والثقافية.

ثم خصصنا الفصل الثالث **للتمثيل الدبلوماسي لعصر الإمارة الأموية في الأندلس ١٣٨ – ٣١٦ هـ / ٧٥٥ – ٩٢٨ م** فكانت نشأة الممالك الأسبانية عنوان المبحث الأول موضحين بداية نشوء المملكة الأسبانية المسيحية في شمال وشمال غرب أسبانيا وكيف تحولت بمرور الزمن من تجمع لفلول القوط المنهزمة إلى قوة تستطيع العدوان والمقاومة مستغلة طبيعة الأرض الصعبة وانشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية، وعلى الرغم من كل المحاولات التي قام بها المسلمون للقضاء على ذلك التجمع الذي أصبح فيما بعد مملكة مسيحية، لم تصل تلك المحاولات إلى نتيجة نهائية تقضي على ذلك التجمع؛ بل خلاف ذلك راح ينمو شيئاً فشيئاً ووصل الحال إلى تبادل للسفارات بين المملكة المسيحية والدولة الإسلامية في الأندلس فيما بعد، وفي المبحث الثاني (السفارات والتمثيل الدبلوماسي) تحدثنا عن السفارات الموجهة من الأندلس إلى ممالك أوربا إذ انطلقت العديد من السفارات فمنها ما توجهت إلى فرنسا وأخرى توجهت إلى ألمانيا وثالثة توجهت إلى المملكة المسيحية في أسبانيا وكان لتلك السفارات كلها أهداف مختلفة تحدثنا عنها خلال الدراسة.

أما الفصل الرابع الذي كان تحت عنوان **سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورمان** فيعد متمما للفصل الثالث، ونتيجة لأهمية موضوعه وتوافر مادته فقد أفردنا له فصلاً كاملاً، إذ خصص للحديث عن حياة هذا السفير في المبحث الأول منه لما يتمتع به من صفات أهلته لكي يصبح سفيراً لبلاط عبد الرحمن الأوسط إلى ملك النورمان، وفي المبحث الثاني كان نصيب سفارة الغزال تلك السفارة التي جاءت نتيجة لسفارة قدمت من النورمان أنفسهم بعد الغارات التي قام بها النورمان على أرض الأندلس التي راح ضحيتها العديد من المسلمين في الأندلس، فقد انطلقت سفارة الغزال برفقة سفارة النورمان إلى بلادهم، ثم أقفل راجعاً إلى بلده الأندلس بعد أنْ أكمل المهمة المناطة به كسفير.

أما في الفصل الخامس فقد تناولنا: **التمثيل الدبلوماسي لعصر الخلافة الأموية في الأندلس ٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣١ م**، وكان المبحث الأول بعنوان سفارة الناصر إلى ملك ألمانيا أوتو الأول التي سبقها وصول كتاب إلى ملك ألمانيا من الخليفة الأندلسي الناصر، أما المبحث الثاني فقد خصص للسفارات الأندلسية الأخرى التي كان الكثير منها ينطلق من الأندلس استجابةً وردّاً للسفارات القادمة من الممالك الأوربية، وقد استمر هذا الوضع في زمن الخليفة الناصر، وابنه الحكم المستنصر. وعلى الرغم من قوة الأندلس في زمن محمد بن أبي عامر لم تصل إلى المستوى الدبلوماسي العالي الذي شهدته الأندلس في زمن الخليفتين الناصر، وابنه المستنصر. ثم ختمنا الدراسة بأهم النتائج.

وقد واجهنا في هذه الدراسة – شأن أية دراسة – صعوبات عدة تمثلت في البحث عن المصادر نتيجة لندرتها الأمر الذي جعلنا نبحث عنها في أماكن عدة في خارج العراق وداخله، لاسيما مع الظرف الأمني المتردي الذي واجهته العاصمة العراقية بغداد والمدن العراقية في أثناء إعداد هذه الدراسة.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر الأولية، والمراجع الحديثة العربية، والأجنبية، أو المترجمة، والرسائل الجامعية. والدوريات، وفيما يلي استعراض لأهم المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

- من كتب الفتوح /

١) ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عبد العزيز (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م).

تاريخ افتتاح الأندلس.

- من كتب التاريخ العام /

١) ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد (ت ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م).

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس

- المقتبس من أخبار بلد الأندلس

٢) المراكشي: عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م).

المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

٣) ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.

٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٥م).

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

- ومن كتب التراجم /

١) الحميدي: أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م). **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس.**

٢) الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م).

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.

- ومن كتب الآداب السلطانية /

١) ابن الفراء: الحسين بن محمد (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م).

رسل الملوك ومن يصلح للسفارة.

٢) ابن الأزرق: أبي عبد الله (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م). **بدائع السلك في طبائع الملك.**

- ومن كتب البلدان والمواقع /

١) الحميري: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣م). **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار.**

٢) الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م). **معجم البلدان.**

- ومن كتب **الأدب** /

١) ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م). **المطرب من أشعار أهل المغرب.**

٢) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.**

ثانيا المراجع العربية الحديثة:

١) العدوي: إبراهيم أحمد. **السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى.**

٢) عنان: محمد عبد الله.

- **دولة الإسلام في الأندلس.**

- **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام.**

٣) مؤنس: حسين.

فجر الأندلس.

٤) أرسلان، الأمير شكيب: (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م)

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا، وسويسرا، وايطاليا، وجزائر البحر المتوسط.

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية.

٥) الحجي، عبد الرحمن علي:- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ/ ٧١١ – ١٤٩٢ م.

- أندلسيات

٦) طه: عبد الواحد ذنون دراسات أندلسية (المجموعة الأولى).

الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس.

وبالرغم من الجهد المبذول لأجل الحصول على المصادر إلاَ أنَ الدراسة حرمت من بعض المصادر والمجلات العلمية المتخصصة فضلاً عن آخر البحوث الصادرة من المعهد العربي الأسباني في مدريد ذات العلاقة بالموضوع ومنها كتاب (المقتبس: تحقيق ب. شلميطا)، ومجلة (الأندلس) بسبب الظروف الأمنية الصعبة التي يمر بها العراق. وحسبنا أخيراً أننا بذلنا جهد المستطيع فإن حالفنا التوفيق فمن عند الله تعالى وإن كان غير ذلك فإننا نؤمن بأن الكمال لله وحده والحمد لله رب العالمين.

سعد إبراهيم محمد آل مصطفى

١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م

obeikandl.com

تمهيد

خص الله تعالى الإسلام - عقيدةً ومنهجاً - للبشرية جمعاء ببدوها وحضرها وعربها وعجمها، والإسلام رسالةٌ سماويةٌ نزلت على رسول الله محمد (ص) ليبلغها إلى كل العالمين، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا....)[١]. وبعد أن وصل الإسلام لكل الجزيرة العربية، ساح العرب المسلمون إلى مشارق الأرض ومغاربها للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر الرسالة الإسلامية بما تحمله من مبادئ سامية للناس كافة.

إنّ إتمام عملية فتح الجزء الأكبر من الشمال الأفريقي، بعد أن وصل إليه تيار الفتح الإسلامي الذي يحمل في طياته قوة ذاتية وأصيلة، أن لا يقف عند الحد الأفريقي مما وصل إليه؛ بل كان لابد له من العبور إلى شبه الجزيرة الأيبيرية[٢] Ilberica «Peninsula Espanica» (أسبانيا والبرتغال). وفعلاً تَمَ ذلك فقد فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م وهي تقع كما هو معلوم في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوربا التي خضعت قبل مجيء المسلمين إليها لشعوب كثيرة، فقد تعاقب عليها

---

(١) سورة سبأ : ٢٨.

(٢) كان اسم الأندلس في القديم إبارية من وادي أبرة ويبدو إن الأيبرية اشتقت منه : ينظر : البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد : المسالك والممالك، تحقيق : جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م): مج ٢ / ٣٧٨.

الفينيقيون والإغريق والقرطاجيون والرومان والوندال " Vandalos " والآلان " Alanos " والسويف " Suevos " والقوط الغربيون [١].

إنَ أول من استوطن الأندلس ما بعد الطوفان أقوام عُرفوا بالأندلش ومنهم ظهرت التسمية؛ ولكن بالسين بدل الشين، وكان الذين سكنوها وتكاثروا فيها على دين المجوس والفساد في الأرض، فعاقبهم الله بذنوبهم، ومنع عنهم المطر، ونضبت العيون، ويبست الأرض، وعم القحط، وأقفرت الأرض، فهلك الكثير من السكان وفرّ من استطاع الفرار مِنهم، وأضحت الأندلس خالية بما يزيد على القرن من الزمن، ثم جاءها الأفارقة الذين أجلاهم ملك أفريقيا نتيجة للجفاف المتكرر الذي حل بمملكته وكاد يفنيهم فحمل هؤلاء الأفارقة في سفن وتوجهوا إلى الأندلس بعد أنْ خصص لهؤلاء قائداً يدعى أبطريقس وبعد وصولهم أمطرت السماء، وتفجرت العيون، وجرت الأنهار، ثم هلك الأفارقة، ونسخهم الله بعجم روما فتحول مُلك الأندلس إليهم بعد أنْ كان للأفارقة، وكان ملك المستوطنين الجدد يدعى أشبان بن طيطش ومن هذا الاسم ظهر اسم أشبانية اسماً للأندلس، ويذكر إنَ أشبان هذا هو الذي بني

(١) حتاملة، محمد عبده : الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق، ط١، (عمان، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) : ص ١٠. إن الأندلس تسمية لم يطلقها المسلمون عليها؛ وإنَما هي تسمية قديمة سبقت مجيء المسلمين إلى الأندلس كما سيأتي لاحقاً.

اشبيلية التي دعيت أشبانية نسبة إلى أشبان، ثم ما لبث أنْ غلب الاسم بعد ذلك على الأندلس كلها [١].

لقد ظهر للبكري رأي آخر، فيه يقول إنه بعد تسمية الأندلس أبارية سميت بعد ذلك باطقة والمأخوذة من وادي بيطى وهو نهر في قرطبة، ثم أطلق عليها تسمية إشبانية من اسم ملكها في القديم الذي كان اسمه أشبان أو من الأشبان الذين سكنوها في سالف الزمان، وقيل: إن تسميتها إشبارية من بشيرى الكوكب الأحمر، ثم أطلق عليها بعد ذلك الأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها [٢]. أما اليعقوبي فيشير إلى إن كلمة الأندلس ما هي إلا كلمة أعجمية لم تستعمل من قبَل العرب قديماً ولكن العرب عرفوها في ظل الإسلام وقد أخذت الألسن أنْ تلتزم بالألف

(١) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح / ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م)، ص ١ وما بعدها وينظر : ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري : الكامل في التاريخ، مراجعة : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط٣، (بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) : ٤ / ٢٦٤ – ٢٦٥؛ أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) : ١ / ١١٢ – ١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.

واللام، وكذلك هي عبارة عن جزيرة واسعة فيها عامر وغامر، وتكثر فيها المياه الجارية، والأشجار، والتمر، وفيها الرخص، والسعة في الأحوال[١].

أما فيما يتعلق بمدن الأندلس فهي كثيرة فمنها: أبذة[٢]، أربونة[٣]، إستجة[٤]، أشبيلية[٥]. أما قرطبة فإنَ تاريخها في العهد السابق للإسلام يعطي إشارةً إلى أنَ أهمية هذه المدينة الأندلسية متأتٍ من موقعها المهم والمتميز إذْ يحدها سهل قرطبة المنبسط من الشمال والجنوب الذي تحده سلاسل جبال سييرا مورينا وسلاسل سييرا نيفادا، أما مجرى نهر الوادي الكبير فهو متعرج وقد كان ملائماً للملاحة في سالف الزمان وهو ذو فائدة كبيرة إذ يزيد من مناعة الطرق المؤدية إلى قرطبة في حالة الدفاع

(١) محمد أمين ضناوي : واضع حواشي كتاب اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح : البلدان، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م)، ص ١٩٢.

(٢) مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير وللمزيد من التفاصيل ينظر: الحميري،صفة جزيرة الأندلس، ص ١١؛ ملحق رقم(٣).

(٣) مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين مما يلي بلاد الإفرنجة وخرجت من أيدي المسلمين سنة ٣٠ هـ / ٩٤١ م ينظر : الحميري، المصدر نفسه، ص ١١ – ١٢؛ ملحق رقم (٣).

(٤) مدينة قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة ذات أسواق عامرة وفنادق جمة وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميري، المصدر نفسه، ص ١٤ – ١٥؛ ملحق رقم (٣).

(٥) هي مدينة قديمة أزلية بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام وأصل تسميتها إشبالي ومعناه المدينة المنبسطة وهي قريبة من البحر ويطل عليها جبل الشرف، وتقع على نهر الوادي الكبير. وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميري، المصدر السابق، ص ١٨؛ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٣٧٦هـ /١٩٥٦م): ٢ / ١٩٥؛ ملحق رقم (٣).

عنها، أمَا فيما يتعلق باسمها فقد كان اسمها الإيبيري الأول بالشكل والصيغة اللاتينية « كوردوبا » وعند القوط الغربيين يعرف بـ « كورد هوبا» أما اللفظة المتعارف عليها (قرطبة) فهي باللغة العربية، كما يعتقد بعض الباحثين أنَ لفظة « ترشيش »التي وردت في التوراة هي ذاتها قرطبة. أما موقع المدينة فهي تقع على الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير في الجنوب من إسبانيا « الأندلس »، أما الرومان فقد أسموها « كولونيا باتريكيا » بعدما سيطروا عليها بقيادة قائدهم ماركيللوس سنة ١٥٢ ق. م فأصبحت عاصمة لما يعرف بـ إقليم هسبانيا القصوى ثم ما لبثت أنْ أصبحت أحد المراكز القضائية في زمن أوغسطس، وفي أيام الإمبراطورية أضحت قرطبة على جانب كبير من الأهمية، كونها مركزاً ثقافياً، وتجارياً، ثم صارت مركزا دينيا وساحةً للنزاعات المسيحية بين الكاثوليك والآريوسيين وذلك في سنة ٥٧٠ م، واستمر سطوع نجم هذه المدينة في زمن القوط الغربيين وأصبحت من المراكز الإدارية المهمة بعدما سقطت بأيديهم سنة ٥٧١ م بيد ملكهم ليوفيجيلدو (Leovigildo) [١].

ويشير الدكتور سالم في كتابه (تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس) إلى أن قرطبة استمرت تحت سيطرة البيزنطيين حتى سنة ٥٦٨ م عندما أصبحت مركزا أسقفيا، ثم ما لبث نجم قرطبة أنْ أخذ بالأفول وراحت

(١) هيلنبراند، روبرت : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحر : سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م) : ١ / ١٨٤.

قرطبة تفقد تدريجياً أهميتها أمام مدينة طليطلة التي فاقتها منذ نهاية القرن الأول الهجري عندما فتحت من لدن المسلمين سنة ٩٢ هـ / ٧١٢م [١].

لقد وصف قرطبة كثير من الكتاب، فهذا محقق كتاب المقري يشير إلى إن مدينة قرطبة بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء وفتح الباء مخففة من مدن الأندلس العظيمة التي تقع في وسط بلاد الأندلس، والمسافة بينها وبين البحر خمسة أيام وكانت مستقرا لملكها، وبها النبلاء والفضلاء، وهي من المدن الحصينة وقد سورت بسور من الحجارة، ولها بابان مشروعان في جسم السور تؤديان إلى طريق الوادي من الرصافة، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسافله من ريفها وأبنيتها متداخلة محيطة من شرقيّها وغربيّها وشماليّها وجنوبيّها [٢].

أما المقدسي في أحسن التقاسيم فوصفها قائلاً: «قرطبة هي مصر الأندلس،... هي أجلّ من بغداد، في صحراء يطل عليها جبل ولها مدينة جوانية وربض، الجامع في المدينة وأسواق وأغلب الأسواق، ودار السلطان في الربض قدامها واد عظيم سطوحهم قراميط، الجامع من حجر وجيل وسواريه رخام حواليه مياض، وللمدينة خمسة أبواب: باب الحديد

(١) سالم، عبد العزيز : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، (بيروت، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م)، ص ٢٩٤.

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد، محقق كتاب / المقري، احمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٩ م) : ١ / ١٤٥ الهامش.

باب العطارين باب القنطرة باب اليهود باب عامر، وقد دلت الدلائل واتفقت الآراء على أنه مصر جليل رفق طيب، وأن ثم عدلا ونظرا وسياسة وطيبة ونِعما ظاهرة ودينا،...»[١]. وكذلك وصفت بأنها: قاعدة للأندلس، ومقر للخلافة، ودار للإمارة، وهي أم المدن[٢]. «وحضرة قرطبة، منذ استفتحت الجزيرة، هي كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أهل الفضل والتقى، ووطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح؛ ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر؛...»[٣].

إن قرطبة مدينة أندلسية وموقعها غرب أسبانيا، وكانت قرابة الخمسة قرون تُمثل مركزاً للحضارة الإسلامية في أوربا وقد راحت تنافس العديد من المدن ذات الشأن أمثال بغداد العباسيين، وقسطنطينية البيزنطيين،

---

(١) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، و ض. م : محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م)، ص ١٩٢.

(٢) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري التونسي : تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تح : أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، (مدريد، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)، ص ١٤١.

(٣) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني " نسبة إلى شنترين بالبرتغال " : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح : سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) : ١ / ١٩.

فضلاً عن القاهرة عاصمة الفاطميين، ونتيجة لما وصلت إليه قرطبة من مكانة رفيعة تقاطر عليها المبعوثون مِنْ كل حدب وصوب من أباطرة البيزنطيين، وألمانيا، ومن ملوك فرنسا، وايطاليا وغيرها من ممالك أوربا وشمال أسبانيا [١]. لقد تبوأت الأندلس مركز الصدارة في القرن الرابع الهجري لما تملكه من قوة، وسلطان ليس في العالم الإسلامي فحسب؛ وإنما في العالم المسيحي بأسره، أو ما يعرف بالنصراني أيضاً، إذ أضحت العاصمة قرطبة مركز جذبٍ واستقطاب للدبلوماسية حيث كانت ترنو إليها أبصار الدول، ترغب في رضاها وتتطلع لصداقتها، وعقد السلام، وحسن الجوار معها [٢].

لقد وصلت قرطبة إلى قمة مجدها في عصر الخلافة؛ بل كانت في ظل حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠ – ٣٥٠ هـ / ٩١٢ – ٩٦١ م) من مدن العالم الإسلامي العظيمة إذ اشتهرت بمكانتها العلمية والثقافية، فضلاً عن ثروتها الضخمة [٣].

---

(١) http:// www. Islamweb. Net / ver٢ / archive / readart.php ?lang =a &id = ٨٩٥٥٥.

(٢) حسين، كريم عجيل : الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢ – ٤٩٥ هـ = ٧١١ – ١١٠٢ م)، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م)، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٣) لويس، ارشيبالد : دراسات إسلامية، دار الأندلس للطباعة والنشر، تر : أنيس فريحه وآخرون، (بيروت، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م)، ص ٧٠؛ Incyclopaedia Britannica , Inc : The new Encyclopaedia Britannica , Ed / ١٥ , (U. S.A , ١٩٧٩) , P. ٩٦١.

وبعد هذه الصورة الموجزة عن الأندلس وقرطبة نستطيع العودة إلى عملية فتح الأندلس، إذ كان يحكمها قبل الفتح الإسلامي القوط الغربيون (Visigoths)، وكانت تعاني من تردي الأوضاع الداخلية؛ بسبب السياسات القوطية التي كان من آثارها المترتبة عليها اضطراب حياة سكانها وانتشار الفوضى والاستغلال، فضلاً عن التخاصم والنزاع فيما بين طبقات المجتمع ومن يحكمهم الذين يعيشون في ترف [١]، فضلاً عن أولاد ملك الأندلس السابق (غيطشة) الذين رفضهم أهلها ونقمتهم على (لذريق) الذي استغل وفاة أبيهم وانتزع الحكم لصالحه بعد أن استمال أهل الأندلس و مجموعة من الرجال إليه [٢].

كذلك تشجيع يليان للعرب المسلمين الفاتحين انتقاما من (لذريق)[٣] Roderic حاكم الأندلس في قصته مع ابنة(يليان) ونص القصة يقول: كان من عادة الأشراف بالأندلس في ذلك الوقت وجرياً على عادةٍ اعتادوا عليها إرسال أولادهم الذين يبغون منفعتهم إلى بلاط الملك

(١) الحجي، عبد الرحمن علي : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار القلم، ط ١، (دمشق، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م)، ص ٢٩.

(٢) المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٤ – ٢٣٥.

(٣) هو Rodrigue رودريق والعرب تقول لذريق آخر ملوك القوط بأسبانيا كان أبوه دوق قرطبة فغضب عليه غيطشة ملك البلاد وسمل عينيه. فثار لذريق على غيطشة، وقاتله، وهزمه. واستولى على عرش أسبانيا مكانه. ينظر: أرسلان، شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م)، ص ٤٥ الهامش.

بطليطلة ليصبحوا في خدمته، ويتعلموا ويتثقفوا، ويتأدبوا بآداب الملك، وينالوا من كرامته، حتى إذا بلغوا تزوج بعضهم بعضا، وحمل صدقاتهم، وتولى تجهيز إناثهم إلى أزواجهن، فصادف أن فعل ذلك يليان حاكم مدينة سبته وعاملها للذريق، وكانت يومئذ تابعة إلى صاحب الأندلس، وأهلها على دين النصرانية، وقد بعث بابنته فائقة الجمال إلى هناك وقد رآها لذريق وسحر بجمالها عندما وقعت عينيه عليها ثم حاول أن ينال منها ولكنها رفضت وقاومته فما كان منه إلا أن لجأ إلى القوة واعتدى على شرفها رغماً عنها، فاحتالت حتى أبلغت أباها بمكاتبةٍ بما حصل لها سراً، فغضب غضباً شديداً، وثارت حميته، وأقسم وتوعد لذريق بإزالة ملكه، وكان غضبه هذا من فاحشة ملك القوط سبباً في فتح الأندلس [١].

لقد كان موسى بن نصير (١٩ – ٩٧ هـ / ٦٤٠ – ٧١٥ م)[٢] والي المغرب من لدن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هـ /

---

(١) المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٢) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي صاحب فتح الأندلس وكان أمير إفريقيا والمغرب، وليها في سنة تسع وسبعين وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميدي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح :روحية عبد الرحمن السويفي،دار الكتب العلمية، ط ١،(بيروت، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م)، ص ٣٠٤؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس : تح : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م)، ص ٣٩٩؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، د. ت) : ٥ / ٣١٨ وما بعدها.

٧٠٥ – ٧١٤ م) قد استشار الخليفة الوليد في عملية فتح الأندلس لكن الخلافة ترددت في بادئ الأمر خوفاً، وحفاظاً على أرواح المسلمين إلا أن موسى بن نصير استطاع إقناع الخليفة بفتح أسبانيا وقد تم الاتفاق على إرسال حملة استطلاعية.

تسبق عملية الفتح [١]. فأرسلت سرية استطلاعية سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م بقيادة أبي زرعة طريف [٢] استجابةً لما تَمَ الاتفاق عليه فيما بين الخلافة، وموسى بن نصير، وتكونت تلك السرية من مئة فارس، وأربعمائة راجل وقد حققت هذه السرية ما كان مرجواً منها [٣].

إن النجاح الذي حققته سرية طريف شجع طارق بن زياد [٤] في التوجه إلى الأندلس، ففي سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م غزا الأندلس والتقى بملكها(أدرينوق) وقتله وأسر وسبى الكثير. وكانت غنائمه لا تحصى وقد

(١) الحميري، المصدر السابق، ص ٨ و ينظر : المقري، المصدر السابق : ١ / ٢٣٧.

(٢) هو طريف بن مالك بن جدعان من طيئ من القحطانية، مسلم بربري ومولى موسى بن نصير، سميت الجزيرة التي وصل إليها باسمه (جزيرة طر يف) ينظر : الحميري، المصدر السابق، ص ٨؛ المقري، المصدر السابق : ١ / ٢١٤؛ الزركلي، خير الدين : الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، (بيروت، د. ت) :٣ / ٢٢٦.

(٣) مؤلف مجهول : أخبار مجموعة، نشره اميلو لا فونتي. الكنترا، (مدريد، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م) ص ٦ وينظر : المقري، المصدر السابق : ١ / ٢١٤.

(٤) هو طارق بن زياد الليثي (٥٠ – ١٠٢ هـ / ٦٧٠ – ٧٢٠ م) أول من غزا الأندلس سنة اثنتين وتسعين أصله من البربر اسلم على يد موسى بن نصير فكان من اشد رجاله ولما تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقا. ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص٢١٧؛ الزركلي، المرجع السابق : ٣/ ٢١٧.

سيطر على الكثير من المدن بعد قتال شديد فائدتُه فتح الأندلس في نفس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م [١].

وبعد هذا النصر الذي حققه طارق بن زياد، وتوغله في بلاد الأندلس كتب موسى بن نصير إلى طارق يؤنبه على تعريض أرواح المسلمين للخطر. وأمره أنْ لا يتجاوز قرطبة، ثم عبر موسى بن نصير إلى الأندلس سنة ٩٣ هـ / ٧١٢ م استكمالاً للفتح [٢].

لقد أتم الجيش الإسلامي بقيادة موسى بن نصير، وطارق بن زياد فتح معظم أراضي الأندلس [٣]؛ بعد عمليات حربية مستمرة استمرت طوال

(١)الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٤،(القاهرة، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، ٦ / ٤٦٨ وينظر : ابن الأثير، الكامل، ٤ / ٢٦٤؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : دول الإسلام، تح : حسن إسماعيل مروه، قر و قد: محمود الأرناؤوط، دار صادر، (بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) : ١ / ٧٩.

(٢) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان، تح : عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، (بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ص ٣٢٣ وينظر : المؤلف المجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥.

(٣) للتعرف على المناطق التي وصلها الجيش العربي الإسلامي في الأندلس. ينظر : ملحق رقم (١).

ثلاث سنوات ونصف السنة منذ رجب سنة ٩٢ هـ / نيسان ٧١١ م حتى ذي القعدة سنة ٩٥ هـ / أيلول ٧١٤م [١].

مما تقدم يمكن ملاحظة انهماك جيش الفتح العربي الإسلامي، والقيادة الإسلامية في الأندلس، وانشغالها بالعمليات العسكرية، وتحركات الجيش المسلم، ومطاردة الفلول المنهزمة. وإنَ هذا الأمر انعكس بدوره على العمل الدبلوماسي، والسفارات؛ إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تظهر سفارات في هذا الوقت، أي في مرحلة الفتح.

إن العصر الذي يبدأ من ٩٥ – ١٣٨ هـ / ٧١٤ – ٧٥٥ م اصطلح عليه بعصر الولاة الذي بدأ بولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير وينتهي بقيام الإمارة الأموية في الأندلس بقيادة عبد الرحمن ابن معاوية سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م [٢]. وقد كان الولاة في الأندلس يعينون [٣] من لدن بني أمية أومن لدن من يقيمونه في القيروان، أو مصر. وعندما اضطرب أمر بني أمية سنة ١٢٦ هـ /٧٤٣م بمقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ – ١٢٦ هـ /

(١) عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط ٤، (القاهرة، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)، ص ٤٠، ٥٦ وينظر : حسين، المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ١٣١.

(٣) كانت الأندلس في عهد الخلفاء الأمويين تابعة إلى والي إفريقيا، حتى عهد عمر بن عبد العزيز (ﷺ) فأصبحت تابعة للخلافة في دمشق ومن ثم رجعت إلى ما كانت عليه. ينظر / عبد الله انيس الطباع، محقق كتاب / ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عبد العزيز : تاريخ افتتاح الأندلس،دار النشر للجامعيين،(بيروت، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م)، ص ٣٨ الهامش.

٧٤٢ – ٧٤٣ م) انشغلوا عن البلاد البعيدة. وقد حدث أن تردت الأوضاع في إفريقيا، وحدث اختلاف بين القبائل في الأندلس مما جعل تلك القبائل تتفق على تقديم شخص قرشي تجتمع عليه كلمة المسلمين هناك. واختاروا يوسف بن عبد الرحمن الفهري. وسارت الأمور إلى أن وصل عبد الرحمن بن معاوية [١].

إنَ عصر الولاة هذا اتسم بسماتٍ ومظاهر عدة جعلته مكملاً لما سبقه، وإن أولى تلك السمات تمثلت في عملية إتمام ما بدأ من فتوحات كانت قد بدأت أيام موسى بن نصير

وطارق بن زياد. و من سمات هذا العصر كذلك النشاط البارز، والواضح في العمليات الجهادية وراء جبال ألبرت – سلسلة جبلية تفصل اسبانيا عن فرنسا – التي قام بها عدد من الولاة أمثال السمح بن مالك الخولاني [٢] (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) و عنبسة بن سحيم الكلبي [٣] (١٠٧ هـ /

(١) المراكشي، عبد الواحد بن علي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، و ض ح : خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط ٢ (بيروت، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)، ص ١٤ – ١٥.

(٢) هو السمح بن مالك الخولاني، استشهد في قتال الروم بالأندلس في ذي إلحجة يوم التروية سنة ثلاث ومائة. ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٠٩؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٣) ولي من لدن بشر بن صفوان أمير أفريقيا سنة ست ومائة في أيام هشام بن عبد الملك ومات سنة سبع ومائة. ينظر : الحميدي، المصدر نفسه، ص ٢٨٨؛ الضبي، المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

٧٢٥م) وعبد الرحمن الغافقي [١] في ولايته الثانية(١١٤ هـ / ٧٣٢ م) - استشهد في موقعة بلاط الشهداء [٢] - وعقبة بن الحجاج

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكى ولي الأندلس من لدن عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقيا، وعبد الرحمن الغافقي من التابعين، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة. وللمزيد من التفاصيل ينظر : الحميدي، المصدر نفسه، ص ٢٤٢ – ٢٤٣؛ الضبي، المصدر نفسه، ٣١٨ – ٣١٩.

(٢) وقعت هذه المعركة في فرنسا مابين بواتيه، و تور جنوبي مجرى اللوار في موضع قريب من طريق روماني قديم يسمى بالبلاط وقد خسر الجيش العربي الإسلامي هذه المعركة وكان جيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. ظن الكثيرون أنَ المراد بلفظ (بلاط) طريق مبلط، وترجمها النصارى إلى pave ولكن المراد بلفظ بلاط في الأندلس قصر أو حصن حوله حدائق تابعة له، فيقولون (بلاط مغيث) و (بلاط الحر) و (بلاط يوسف). ويقصدون بذلك قصور أولئك الرجال، واللفظ مشتق من palatum اللاتينية وعلى هذا فبلاط الشهداء معناها في الواقع (قصر الشهداء)، مما يفهم منه إن مكان الموقعة كان إلى جوار قصر أو حصن كبير. ينظر : مؤنس، حسين : فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، (القاهرة، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م)، ص ٢٧١ الهامش؛ مؤنس، حسين : موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد، د. ت) : ١ / ٤٣ - ٤٥؛ حتي، فيليب : تاريخ العرب، تر : محمد مبروك نافع، منشورات دار المعلمين العالية بغداد، (بغداد، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) : ٣ / ١١ – ١٤؛ العمري، عبد العزيز بن إبراهيم : الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار اشبيليا، ط١، (الرياض، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م)، ص ١٨٥ – ١٨٨؛ طه، عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد، (بغداد، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م)، ص ٣٤٦. وهناك من يعتقد أنَ موقعة بلاط الشهداء سبقتها مقدمات تمثلت في معارك محدودة، وعندما راح الزحف العربي الإسلامي يهدد مدينة مملكة أكوتين ودوقها أودو طلب هذا الأخير المعونة من شارل مارتل وحدث الموقف الحاسم قرب بواتيه ١١٤ هـ / ٧٣٢ م. ينظر : Gerard Labrune , Philippe Toutain : L histoire de France ., Nathan ,(France , ٢٠٠٢) , P. ٢٤

السلولي[١] (١٢١ هـ / ٧٣٨ م)، ويمكن هنا أن نضيف لما تقدم حالة التبدل السريع للولاة في الأندلس إذ استشهد عدد غير قليل منهم فضلاً عن الاضطرابات

الداخلية التي كانت تعصف بالأندلس بين الحين والآخر[٢]. من خلال ما تقدم نستطيع أن نصل إلى حقيقة مفادها: أن العمل الدبلوماسي، والسفارات المنطلقة من الأندلس إلى الممالك الأوربية لم يكن لها أثر نتيجة لانشغال المسلمين بعمليات الفتح من جهة، ومن الأخرى لأن الممالك المسيحية في شمال وشمال غربي الأندلس لم تتبلور بعد وتظهر إلى الوجود ككيانات يمكن أن تقيم معها علاقات دبلوماسية، أو سفارات. لقد استمر عصر الولاة حتى سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م هذه السنة التي يبدأ بها ما اصطلح عليه بعصر الإمارة. وأول أمير هو عبد الرحمن بن معاوية وقد شهد هذا العصر الذي يبدأ منذ قيام الأمارة الأموية من منتصف القرن الثامن، وحتى القرن العاشر الميلادي (القرن الثاني وحتى الرابع الهجري) في الأندلس، شهد تطوراً عم المجتمع الأندلسي سمح بظهور طبقة متوسطة بدأت تحل بشكل بطيء محل طبقة النبلاء، وأصل هذه الطبقة من البربر إن عملية الالتقاء التي تمت بين (الغزاة) للأندلس، والأسبان

---

(١) هو عقبة بن الحجاج ولي الأندلس في أيام هشام بن عبد الملك من لدن عبيد الله بن الحبحاب والي مصر وأفريقيا وما والاهما، وهلك عقبة بالأندلس ينظر : الحميدي، المصدر السابق، ص ٢٨٧؛ الضبي، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

(٢) حسين، المرجع السابق، ص ٩٧ – ٩٨.

القوطيين بلور ظهور المجتمع الاسباني المسلم بعد أن تحول القوط الأسبان إلى اعتناق عقيدة المنتصرين لأجل الحصول على فوائد اقتصادية، واجتماعية من المسلمين[١].

ويبدو مما سبق ذكره إن الكاتب الأسباني يتحدث بذاتية أكثر منها موضوعية حين يصف العرب، والمسلمين الفاتحين بأنهم غزاة، وهذا وصف غير دقيق لأن العرب والمسلمين حملة رسالة سماوية إلى كل المعمورة وكان هدفهم الأساسي نشر الدين الإسلامي لا الغزو، وحين يتحدث الكاتب أيضاً عن إسلام القوط الأسبان فإنه يظهر ذاتيته أكثر عندما يجعل إسلامهم لغرض الحصول على مكاسب اقتصادية واجتماعية في حين يتناسى الوضع المزري الذي كان يعيشه سكان أسبانيا قبل الفتح الإسلامي، والصراعات الداخلية فيما بينهم، كذلك أغفل الكاتب سماحة الإسلام وخلق المسلمين العالي الذي جذب إليه الكثيرين وجعلهم يعتنقون الإسلام طواعية لا لمصلحة شخصية؛ ولكن رغم هذا وذاك قد يكون هناك من بين سكان أسبانيا من اعتنق الإسلام لمصلحة خاصة، إلا أن هؤلاء أعداد قليلة إذا ما وازنتهم بمن اعتنق الإسلام حباً بدين الله، والرسالة الإسلامية السمحة.

---

(١) J. A.Garcia de cortazar , Historia de Espana Alfaguara II ,Alianza Editorial S. A , (١٩٧٣) , p. ٨٥ .Madrid